وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مقومات بناء الحضارة والعمران من خلال هدايات قصة نبي الله سليمان

اسم الباحث/ـة

د/ محمد العمراني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن مرجعية الحضارة الإسلامية هي مرجعية دينية، مصدرها الأول: القرآن الكريم، وبعده السنة النبوية، وذلك كفيل بتحقيق العدل بين جميع أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى تطور البلاد وتقدمها ونبذ العنصرية والعصبية، وتحقيق الأخوّة بين أفراد المجتمع، والعمل على تحقيق مبدأ الشورى في جميع الأمور الخاصة بالمسلمين، وغيرها من أسس ودعائم الحضارة الإسلامية.

ولا شك أن (هدايات القرآن :مشروع حضاري، تحتاجه أمة الإسلام؛ لتجدد علاقتها بوحي القرآن، وتنهض من بين آياته لتقود البشرية إلى بر الأمان، فهي الأمة الشاهدة على الأمم، ولا خلاص للإنسانية بغير منهج القرآن، قال تعالى : ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٦] (١).

هاته الهدايات تستنبط من أساليب القرآن الكريم المتنوعة، ومن هاته الأساليب أسلوب القصة؛ فإنه منبع خصب للمواعظ والعبر التي تهدي من يريد الهداية، وترشد الحائر، إضافة إلى عنصر التشويق الذي تتميز به، وصدق الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١١١].

وقد وقع اختياري على قصة سليمان عليه السلام لما تحويه من عبر ودروس، وهدايات تؤسس لبناء حضارة عظيمة؛ فمن تدبر قصة هذا النبي، واستخرج هداياتها، يعرف أسس ومقومات بناء الحضارة المتكاملة: من أسس

(١) من موقع الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية، عمود البوابة الإلكترونية، عنوان: عن الموسوعة، رابط الموقع: https://hidayatqurania.org/.

عقدية، وإيمانية، وتشريعية، وأخلاقية، وإنسانية، وكونية؛ لأن هذا النبي أسس مملكة لم يعرف التاريخ لها مثيلا؛ جمعت كل شروط النهضة والحضارة، وقد ورد اسم سليمان ست عشرة مرة في كتاب الله تعالى[1]، وفي تكرر اسمه – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام– في سور متعددة، أهمية قصص هذا النبي، وأهمية ما تشير إليه من هدايات ودروس وعبر، وقصدي في هذا البحث بيان الهدايات المستفادة من قصص هذا النبي، التي تبرز مقومات بناء حضارة راقية، تسمو بإيمانها، وأخلاقها، وإنسانيتها، وتبرز الوسائل والأسس التي تنشأ العمران، وتحفظ الحضارة من الانهيار، وتعمر الكون بكل ما فيه النفع، والخير، والعيش الكريم لأفراد الأمة، دون الغفلة عن المقصد الأسمى والأعلى وهو الفوز بالجنة والنعيم الأخروي. وقد تناولت هذا الموضوع في مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب أربعة:

المبحث الأول: هدايات في أسس بناء الحضارة من آيات قصة نبي الله سليمان عليه السلام

المطلب الأول: هدايات آية سورة البقرة.

المطلب الثاني: هدايات آيات سور النساء والأنعام والأنبياء.

المطلب الثالث: هدايات آيات سورة النمل.

المطلب الرابع: هدايات آيات سورة سبأ ، وص.

المبحث الثاني: مقومات بناء الحضارة والعمران من هدايات نبي الله سليمان.

المطلب الأول: الإيمان والأخلاق.

المطلب الثاني: النظام القضائي العادل.

المطلب الثالث: النظام الاقتصادي والصناعي

المطلب الرابع: الإعداد العسكري.

---

(1) ورد اسم سليمان في البقرة، النساء، الأنعام، الأنبياء ثلاث مرات، النمل سبع مرات، سبأ، وفي ص ذكر مرتين.

المبحث الأول: هدايات في أسس بناء الحضارة من آيات قصة نبي الله سليمان عليه السلام.

المطلب الأول: هدايات آية سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢].

١) هاته الآية الكريمة ترشد إلى أن نبي الله سليمان كان له ملك عظيم، وترد على اليهود الذين يزعمون أن سليمان عليه السلام كان يستعمل السحر، وبه حصل له الملك العظيم، وهذه كذبة نزهه الله تعالى منها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]؛ أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بذلك)[١].

٢) تفيد أن ملك سليمان عليه السلام بني على أسس ومقومات صحيحة، لأنه لم يتعلم السحر، ولم يبن مملكته على هذا الباطل كما زعم اليهود.

٣) فيها براءة سليمان عليه السلام من ترويج السحر، ومن استعماله، فحاشاه هذا الباطل.

٤) تفيد أن الحضارة لا تبنى على سحر باطل، ولا تبنى على الخرافات؛ وإنما تبنى على ما جاء به الوحي الحق من الإله الحق عز وجل، وكم من حضارات بادت؛ لأنهم (تركوا علم الأنبياء والمرسلين، وأقبلوا على علم الشياطين)[٢].

٥) تفيد أن سليمان عليه السلام جمع الله تعالى له الملك والنبوة؛ يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي في ملكه؛ أي في عهده؛ ويشهد لذلك دعاؤه الذي ذكر في القرآن الكريم: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٣٥-٣٨].

---

(١) تفسير السعدي ص ٦١.

(٢) نفس المصدر ص ٦١.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢].

٦) تفيد أن أهم أسس الحضارة الإيمان بالله تعالى، وبما أنزل من كتب، وما أخبر به من أخبار.

٧) فيها أن الكفر لا ينتج حضارة نافعة، وإن أنتج حضارة مادية فإنها لا تلتزم مبادئ الحق والعدل والأخلاق؛ دليل ذلك نفي الآية الكفر عن نبي الله سليمان الذي سخر له ما لم يسخر لغيره.

٨) تفيد أن الإيمان يوصل لجميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين، إضافة إلى الفوز بالجنة ورضوان الله؛ لأن نبي الله سليمان أسس مملكته العظيمة على الإيمان أولا، واتخاذ جميع أسباب الرقي والازدهار.

٩) تشير إلى أن الداعين إلى الله تعالى، ومنهاجه الحق والعدل، لا بد أن يكذبوا، ويتهموا بأشنع التهم؛دليل ذلك اتهام نبي الله سليمان بالسحر والكفر.

١٠) فيها تسلية للدعاة، وقادة الأمة، وتثبيت لأفئدتهم، فمتى علموا أن الأنبياء أوذوا، واتهموا تهما زائفة، صبروا كما صبر رسل الله، وواصلوا تبليغ رسالة الله لا يثنيهم عن ذلك المثبطون، والمبغضون، يستفاد ذلك من اتهام نبي الله سليمان بالسحر، وهو الشاكر لربه، الأواب ابن الأواب، عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: هدايات آيات سور النساء والأنعام والأنبياء:

– سورة النساء:

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٣].

١١) فيها أن الاهتداء برسل الله الذين اصطفاهم، مثل نبينا صلى الله عليه وسلم، وسليمان الذي نتحدث عنه، وغيرهما من الأنبياء، هو سبيل العزة والتمكين وبناء الحضارة السامقة.

١٢) فيها أن طريق بناء الحضارة المادية والأخلاقية، الحضارة التي تعمر الدنيا، وتُخَلِّدُ في الأخرى، لا يكون إلا بطريق واحدة، وهي طريق أنبياء الله ورسله، واختتمت بآخرهم وأفضلهم نبينا عليه وعليهم أزكى الصلاة والسلام.

يدل على ذلك أنه (أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمهم من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين)[١].

١٣) فيها رد على اليهود الذين لا يؤمنون بأن سليمان نبي من الأنبياء؛ بل يعتبرونه ملكا فقط، والله عز وجل خصه بالملك والنبوة، قال ابن عطية رحمه الله: (وسليمان هو النبي الملك)[٢].

١٤) تفيد أن الحضارة ليست إنجازات ومكاسب وبنى فوقية، وليست قشورا خارجية فقط؛ بل لابد أن يكون أساس بنائها، وعمودها الفقري هو الإيمان.

– سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٤].

١٥) فيها اختيار القائد الذي عرف أهله بالصلاح والتقوى؛ لأن ذلك أحظى أن يستقيم في قيادته؛ لقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ .قيل: ومن ذرية نوح، وقيل: ومن ذرية إبراهيم، قال ابن عباس: هؤلاء الأنبياء كلهم مضافون إلى ذرية إبراهيم، والمعنى: وهدينا أو ووهبنا من ذريته داود وسليمان، وقرنهما لأنهما أب

---

(١) تفسير السعدي، بتصرف يسير. ص ٢١٤.

(٢) ينظر المحرر الوجيز (١٣٦/٢)، التحرير والتنوير (٣٣٨/٧).

وابن، ولأنهما ملكان نبيان، وقدم داود لتقدمه في الزمان، ولكونه صاحب كتاب، ولكونه أصلا لسليمان وهو فرعه(١).

١٦) فيها أن صلاح الآباء صلاح للذرية؛ لإبقاء هذه الكرامة في نسل إبراهيم عليه السلام: داود، وسليمان...، وتبقى هذه الكرامة إلى يوم القيامة، كل ذلك لإلزام من ينتمي إلى ملته عليه السلام.

١٧) فيها التنويه بهؤلاء الأنبياء بشرف أصلهم، وبأصل فضلهم؛ يستفاد ذلك من إعراب: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ حالا من داود.(٢)

١٨) فيها تأصل الهداية في أصول إبراهيم وإسحاق ويعقوب، يستفاد ذلك من قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، لأنها حال، وفائدة ذكر هذا الحال التنبيه على أن الهداية متأصلة فيهم(٣).

– الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٧٨-٨٢].

١٩) فيها وجوب نصب القضاة للحكم بين الناس(٤)؛ لقوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾.

---

(١) ينظر البحر المحيط لأبي حيان (٥٧٤/٤).

(٢) ينظر نظم الدرر (١٧٣/٧).

(٣) ينظر التحرير والتنوير (٣٣٨/٧).

(٤) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (٤٣٣/٣).

٢٠) تفيد أن من أسس الحضارة التي يبنيها القرآن الكريم تحكيم شرع الله الذي أنزله على رسله؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾، فسليمان وأبوه داود عليهما السلام بنيا دولة عظيمة تستند لأحكام الله تعالى وشرعه.

٢١) تفيد أن الله تعالى مطلع على أعمال العباد، وعلى ما يحكم به الحاكم من أحكام؛ فإن كانت موافقة لشرعه باركها ونفع بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾.

٢٢) تفيد أن الله تعالى هو الذي يفهم من يشاء ليدرك الصواب في حكمه؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

٢٣) تفيد أن الابن قد يفوق أباه في الفهم والاجتهاد؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

٢٤) تفيد أن اجتهاد الحاكم والمفتي والقاضي وغيرهم قد يختلف، بشرط أن يبذلوا جهدهم للوصول إلى الصواب؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾.

٢٥) تشير إلى أن الحكم في الدولة الإسلامية ينبغي أن يكون مبنياً على الحجة والعلم، المستند إلى الوحي،

ولا يتولى القضاء إلا العالمون بالأحكام والضوابط الشرعية؛ ليكون قضاؤهم عن علم وبرهان، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾.

٢٦) تفيد أن العالم، والحاكم المجتهد، يؤجر على اجتهاده بغض النظر عن إدراك الصواب أو عدم إدراكه، مادام متأهلاً لتلك المهمة، وباذلاً لكل جهده، يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾، ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[١].

٢٧) تفيد أن من أسس الحضارة التي يبنيها الإسلام، العدل بين الناس؛ فلا يُظلم أحد تحت حكمه؛ لقوله تعالى:﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

٢٨) تفيد جواز رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاده إلى اجتهاد آخر أرجح من الأول؛ فإن داود عليه السلام فعل ذلك، وقد اختلف في ذلك علماؤنا رحمهم الله تعالى.

٢٩) تفيد أن الحاكم، والقاضي، والمفتي، لا يصح اجتهادهم، ولا يؤجرون عليه، إلا إذا كان جامعا لشروط الاجتهاد المعروفة؛ يستفاد من قوله عز وجل: [٢]﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: ف (إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعا لآلة الاجتهاد، فهو الذي نعذره بالخطأ، بخلاف المتكلف فيخاف عليه، ثم إنما يؤجر العالم لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة، هذا إذا أصاب، وأما إذا أخطأ فلا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط).[٣]

٣٠) تفيد أن الحكم والاجتهاد لا يكون إلا ببذل الجهد، والحرص على إدراك الصواب والحق؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، (وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالما بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالما فلا)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح ٧٣٥٢).

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٣١٣/١١).

(٣) معالم السنن (١٦٠/٤).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣١٩/١٣).

٣١) فيها من الفقه أن الأنبياء سوغ لهم الحكم بالاجتهاد؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾، وهي قرينة تدل على أن سليمان وداود حكما في هاته المسألة باجتهاد، وأن سليمان أصاب في اجتهاده)[١].

٣٢) فيها ثناء الله تعالى ومدحه لنبيه سليمان عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

٣٣) تشير إلى فتح باب الاجتهاد لمن هم أهل له؛ ليجتهدوا في استنباط الأحكام، وإجابة المستفتين، وبيان حكم كل نازلة من النوازل،

(قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة هلكوا؛ ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده)[٢].

٣٤) تفيد بالمفهوم خطورة الحكم بالهوى والشهوة وما تهوى الانفس؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

٣٥) تفيد أن الله تعالى هو الذي يسخر للحاكم ما شاء من وسائل الحضارة، وأسباب القوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: (كنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أمّ الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام)[٣].

٣٦) تشير إلى ضرورة صناعة السلاح بأنواعه، والصناعات الحربية التي تحتاجها الأمة؛ ليحفظوا أنفسهم، وجنودهم من بأس أعدائهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾؛ أي: (وعلَّمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا لبستموه،

---

(١) ينظر أضواء البيان للشنقيطي (١٧٠/٤).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٨٨٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٩/١١)،

(٣) جامع البيان للطبري (٣٧٨/١٦).

ولقيتم فيه أعداءكم من القتل)[1].

٣٧) (فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصِّن في الحرب، وغير ذلك من نعمه عليكم .يقول: فاشكروني على ذلك)[2].

٣٨) فيها أصل لاتخاذ الصنائع والأسباب، (وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثا، ونوح نجارا، ولقمان خياطا، وطالوت دباغا، وقيل: سقاء، فالصِّنْعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس)[3].

٣٩) تفيد وجوب صنع آلات الحرب بأنواعها، وإعداد العدة بقدر الاستطاعة، للحفاظ على أمن الأمة، والدفاع عن الأوطان والأنفس والأعراض، وإعداد الأمة للجهاد في سبيل الله.

٤٠) فيها وجوب شكر الله تعالى على كل نعمة تستجد للعبد.

٤١) تفيد أن (سليمان أوتي الحكمة وسخر له أهل الصنائع والإبداع، فاستكملت دولة إسرائيل في زمانه عظمة النظام، والثروة، والحكمة، والتجارة، فكان في قصتهما مثل. وكانت تلك القصة منتظمة في هذا السلك الشريف؛ سلك إيتاء الفرقان والهدى والرشد والإرشاد إلى الخير والحكم والعلم)[4].

---

(1) نفس المصدر (١٦/٣٣٠).

(2) نفس المصدر (١٦/٣٣١).

(3) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣١٢).

(4) التحرير والتنوير (١٧/١١٥).

٤٢) تفيد أهمية الغوص في البحار، واستخراج الجواهر الثمينة، والأعمال والمهن المختلفة، وبناء القصور، والبلدان، وأهمية أنواع الصنائع، كل ذلك من عوامل تقدم الحضارة، وبناء الأمة القوية التي تنشر العدل والقسط، والأمن في ربوعها، وربوع العالم، كل ذلك يستفاد مما سخر الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام.

المطلب الثالث: هدايات آيات سورة النمل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ

مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل، الآية: ١٥-٤٤].

في هاته الآيات العظيمة التي تناولت قصة نبي الله سليمان عليه السلام بتفصيل عجيب، هدايات كثيرة، تفيدنا في استكشاف أسس ومقومات الحضارة التي يبنيها كتاب الله، وسأحاول اختصار هاته الهدايات المستفادة من هذا المقطع الطويل من سورة النمل.

٤٣) فيها أهمية العلم للقائد والحاكم؛ ليقود الأمة على بصيرة، ويحسن سياستها، وجلب المصالح لها المادية والمعنوية، ودرأ المفاسد؛ يستفاد ذلك من امتنان الله تعالى على نبييه داود وسليمان بنعمة العلم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا﴾، وقد قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [سورة طه، الآية: ١١٤].

٤٤) تفيد وجوب حمد الله تعالى على ما أولى من نعم، وخصوصا العلم؛ لأن منزلة العلماء كبيرة، وشرفهم لا يخفى، خصوصا لمن يقود الأمة.

٤٥) تفيد أن القائد الشاكر الذي يعرف نعم الله عليه، ويشكر ربه، يعلو شأنه، ويسوس الأمة لما ينفعها في دينها ودينها؛ فهذان داود وسليمان عليهما السلام يدعوان: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي:

(الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا)[1].

٤٦) تشير إلى أهمية صفة التواضع فيمن يبنون الحضارة، ويساهمون في إعلاء شأن الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فهذان داود وسليمان عليهما السلام مع اصطفاء الله تعالى لهما على عالم زمانهما بإطلاق، يحمدان الله تعالى أن فضلهما على كثير من عباده المؤمنين، وهذا منهما تواضع عجيب، والمعجب بنفسه لن يقود الأمة إلا إلى الهلاك والدمار.

٤٧) تفيد أن القائد المسلم الذي يسوس الأمة إلى كل خير هو الذي ينسب ما تعلمه إلى الله تعالى، بخلاف غيره؛ فإنه ينسب ما تعلمه لنفسه كحال قارون القائل، كما حكى عنه القرآن: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٨].

٤٨) فيها حث على اتخاذ كل الأسباب المادية والمعنوية، التي تساهم في بناء الحضارة الراقية في جميع المجالات؛ لقوله تعالى على لسان سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، فهو يذكر نعمة الله عليه بأن أعطاه كل شيء يصلح له في تسيير مملكته، (وهو نظير قوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ﴾ [سورة النمل، الآية: 23]؛ أي: مما يتم به الملك)[2].

٤٩) تفيد أن بناة الحضارة الإسلامية ينسبون كل ما أوتوا من أسباب القوة، والتمكين، والعزة، إلى الله عز وجل، ويعرفون نعم الله عليهم، ويشكرونه؛ لقوله تعالى على لسان داود: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

٥٠) تفيد عظمة ملك سليمان عليه السلام الذي سخر له ما لم يسخر لغيره، تذكر كتب التاريخ أن (سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/١٨).

(٢) تفسير العثيمين لسورة النمل (١٠٧).

للإنس، وخمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب؛ فيها ثلاث مائة صريحة، وسبع مائة سرية، فأمر الريح العاصف فرفعته، وأمر الرخاء فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته)[1]، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾.

٥١) فيها إشارة إلى أهمية معرفة لغات الأقوام الآخرين؛ لأن في معرفتها دعوتهم إلى الله تعالى، وأمن مكرهم، وتيسير التعاون معهم فيما فيه مصلحة الجميع؛ يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾.

٥٢) فيها بيان أهمية النظام في تقدم الأمم، وازدهارها، وتأسيس الحضارة السامية، ومن أهم ما يحسن نظامه، الجيوش التي تحمي الدين والأوطان، والأنفس، والأعراض؛

يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾، فقد نظم جيوشه تنظيما عجيبا، حيث يُحشر له الجن والإنس والطير في وقت واحد، متى شاء!

٥٣) فيها بيان أهمية تفقد القائد لرعيته؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾.

٥٤) تفيد أهمية تطبيق الحدود الشرعية، والقوانين الزاجرة للمخالفين، والتعزيرات التي تؤدب في كل معصية لله أو لآدمي لا حد لها ولا كفارة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾.

٥٥) تفيد أن من أسباب تقدم الأمة، وبناء حضارة راقية، حرص الجنود، والعمال، وكل من تولى مسؤولية في الأمة، على الحضور في الوقت، وأداء المهمات التي تحملوها؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾؛ فهذا الهدهد مع عذره الواضح،

---

(١) جامع البيان (٢٥/١٨).

والمهمة العظيمة التي قام بها، لم يتأخر كثيرا، ولم يمكث سليمان إلا زمنا يسيرا بعد توعده للهدهد حتى حضر.

٥٦) تفيد أن الحاكم مهما أوتي من علم، وقوة، وذكاء، فقد يكون من هو أعلم منه؛ فليتواضع، وليستشر أهل الخبرة والتجربة والعلم، يستفاد من قول الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

٥٧) تشير إلى وجوب تحمل القادة لما يصدر من كلام شديد من جنودهم، متى قصدوا الحق، وأظهروا الحجة، ولم يتجاوزا الأدب الواجب، يستفاد ذلك من قول الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، ولم يعاقبه سليمان على قوله، ومثل هذا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٤٣].

٥٨) تفيد وجوب تثبت الحاكم، والقائد، والقاضي، مما يسمع من أخبار؛ ولا يستعجل في حكمه؛ ليكون حكمه مبنيا على العلم واليقين، يستفاد من قول سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

٥٩) تفيد استحباب بداية رسائل الحاكم المسلم، التي يرسلها لغيره من الحكام، ببسم الله الرحمن الرحيم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل، الآية: ٣٠-٣١].

٦٠) تفيد أن من أعظم مهمات الدولة الإسلامية دعوة غير المسلمين للإسلام؛ لتعم رسالة السماء كل من في الأرض؛ لما جاء في رسالة سليمان عليه السلام: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٣١]، ولما جاء في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ

سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤]»[١].

٦١) تفيد أن قادة الدولة الإسلامية لا يريدون بدعوتهم غير المسلمين أن يملكوا العالم، ويسيطروا على ثرواته، وإنما يريدون بذلك تبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين؛ لقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فالهدهد لما أخبر سليمان أن ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله وهذا كفر، فلا بد أن يخرجوا منه إلى الإسلام[٢].

٦٢) فيها بيان أهمية استشارة القائد لوزرائه، وأهل العلم، والشأن، والرأي، فقد يسمع منهم ما فيه المصلحة للأمة مما لا يعلمه هو؛ يستفاد ذلك من قوله تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾، فهاته الملكة مع ما أوتيت من سلطة وقوة، تستشير أشراف قومها قبل أن تقطع في أمرها.

٦٣) تشير إلى بيان أهمية الاستشارة في القضايا العامة، وشؤون الدولة، صغيرها وكبيرها؛ فربما اعتبر الأمر صغيرا؛ لكن آثاره خطيرة، يستفاد ذلك من قوله تعالى على لسان الملكة: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾، وجاءت كلمة: "أمرا" نكرة في سياق النفي، فعمت كل أمر صغير أو كبير.

٦٤) تفيد بالمفهوم أن من أسباب انهيار الحضارات والدول، انفراد القائد برأيه، وعدم استشارة أهل الخبرة والعلم والتجربة.

٦٥) تفيد أن من مقومات الدولة العادلة، توفير العدة والعتاد الحربي، وإعداد الدولة لكل ما تستطيع من قوة، وإعداد الجيوش المنظمة؛ لتحمي الأمة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (سورة آل عمران، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ح ٤٥٥٣).

(٢) ينظر تفسير ابن عثيمين لسورة النمل (١٧٨).

نفسها، ويهابها عدوها، يستفاد من قول الملأ للملكة: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

٦٦) تفيد أن من أهم مقومات الدولة الإسلامية، الأدب مع القائد، وتقديره، والسمع والطاعة له في كل ما يقترح مما فيه مصلحة الأمة؛ لقوله تعالى على لسان ملأ ملكة سبأ: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾، وفي هذا غاية الأدب، والاستعداد التام لكل ما تدعو إليه الملكة، وأدلة هاته الهداية كثيرة في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس اتقوا الله، وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له، وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله»[1].

٦٧) تفيد أن من أسس بناء الحضارة: القوة المادية، والقيادة الراشدة التي تسعى فيما فيه مصلحة الأمة، والبطانة الصالحة التي تبذل النصح للقائد، وتتأدب معه غاية الأدب، كل ذلك يستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

٦٨) تفيد جواز مخالفة القائد لمستشاريه فيما يقترحون عليه، إن رأى مصلحة راجحة في ذلك، بشرط بيان وجه اجتهاده؛ لقوله تعالى على لسان الملكة: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، فقد اقترح ملأها المواجهة؛ لكنها رأت مصلحة دولتها في المسالمة والمهادنة؛ لتحافظ على أمن مواطنيها ودولتها، وأبانت لهم وجه اختيارها.

٦٩) ترشد إلى حكمة بالغة ينبغي أن يتنبه لها القادة الأذكياء، وهي عدم التسرع في الحكم، ووجوب التروي وتدبر مآلات الأمور، قبل اتخاذ القرار،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجهاد، باب ما جاء في طاعة الإمام، ح ١٧٠٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٦/٦).

يستفاد هذا من حكمة هاته الملائكة في قولها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

٧٠) تفيد أن الدولة التي يبنها كتاب الله تعالى لا يكون همها الزخارف الدنيوية؛ بل تعبيد الناس لرب العالمين، وتبليغ رسالة الله لكل الناس، يستفاد ذلك من قول سليمان عليه السلام: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

٧١) تفيد أن الدول التي تبنى على مناهج وضعية تعتز وتفتخر بالمتع الدنيوية، وتخضع لمن يغدق عليها العطايا والهدايا، بخلاف الدولة التي تبنى على أسس شرعية؛ فإنها لا تمد عينيها إلى زهرة الحياة الدنيا، وحال الملكة مثال للدول الأولى، وحال النبي صلى الله عليه وسلم مثال للدولة الإسلامية، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

٧٢) فيها توجيه جليل لكل قائد مسلم؛ ألا يغتر بالشهوات، ولا تتلهف نفسه للهدايا والأعطيات، فيبيع دينه وأمته بعرض من الدنيا قليل، يستفاد ذلك من عدم انجرار سليمان عليه السلام للمهادنة، طمعا في الهدايا النفيسة التي أهديت إليه.

٧٣) تفيد أن تعامل القيادة الشرعية مع غيرها من الدول قد يقتضي اللين، وقد يقتضي الشدة والغلظة، ولكل مقامه المناسب، يستفاد ذلك من رد نبي الله سليمان عليه السلام القوي الشديد: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، ويشهد له قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٩].

٧٤) تفيد أن الدولة الإسلامية لا تحرم شيئا من متع الدنيا الحلال، وتسعى لتوفير كل ما تستطيعه من المباحات؛ ليعرف عدوها الذي لا يعتز إلا

بالشهوات أن لها شأنا وقوة، فيحترمها، ويتواضع لها، يستفاد ذلك من قول سليمان عليه السلام: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ﴾، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

٧٥) تفيد استعداد القيادة الإسلامية، وجهوزيتها في كل لحظة بكل الجيوش والعتاد، لمواجهة كل طارئ، فيهابها عدوها، فلا يطمع في خيراتها، ولا تمني دول نفسها في احتلالها، مهما تقوت وجيشت، يستفاد من رد سليمان عليه السلام على هؤلاء المرسلين بالهدايا رشوة وتطميعا: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٣٧].

٧٦) تفيد أهمية العدة العسكرية؛ لأمن البلاد الإسلامية، والحفاظ على دينها، وتبليغ رسالة ربها، يستفاد ذلك من قول الله تعالى: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٠]، ويستفاد ذلك أيضا من تنافس دول العالم المتقدمة ماديا على توفير أنواع الأسلحة المتطورة، وتسابقهم في امتلاك ما وصلت إليه الصناعة الحديثة.

٧٧) تفيد أن من يعادون الرسل والدعاة الناصحين لا يهابون الدولة الإسلامية إلا بقدر ما يجدون عندها من قوة، ولا يوقرونها إلا بما يرون من عددها وعدتها، وقل منهم من يخضع للحق، ويستجيب لنداء الفطرة، ورسالة السماء، يستفاد ذلك من خضوع مملكة سبأ لسليمان عليه السلام، لما هددوا بالجنود والقوة المادية.

٧٨) تفيد أن قوة الدولة لا تكون إلا بقوة العدة؛ لأن المملكة التي أقامها سليمان، وقبله أبوه داود عليهما السلام، أقيمت على القوة المادية بعد القوة الدينية.

٧٩) تفيد أن القائد مطالب بأن يعين وقتا معروفا للفصل بين الناس، واتخاذ القرارات؛ لأن نبي الله سليمان عليه السلام كان له وقت معلوم لا يتجاوزه؛ لقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾.

٨٠) تفيد أهمية اجتماع صفتي القوة والأمانة في كل عامل يكلف بمهمة داخل الدولة الإسلامية؛ لما جاء في قول العفريت: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾، وقد ذكرت الصفتان معا في قول بنت الرجل الصالح: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [سورة القصص، الآية: ٢٦].

٨١) تفيد بالمفهوم أن الضعيف، والخائن، لا يصلحان لتحمل المسؤولية، ولا ينبغي أن تسند لهما المهمات؛ الأول لأنه لا يستطيع تحملها، والثاني لأنه خائن لا يؤتمن، يستفاد ذلك من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾.

٨٢) تشير إلى صفة مميزة للقائد في الدولة المسلمة، وهي اعترافه بفضل الله تعالى عليه متى رأى نعمة من نعم الله عليه، وعلى أمته، بخلاف غيره؛ فإنه يغتر ويفتخر ويطغى، يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٠]، وقد سبق مثل هذا في قول سليمان أيضا لما أسمعه ربه كلام نملة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٩].

٨٣) تفيد أن القائد المسلم يعترف بأن كل ما أوتيه هو وأمته من الله تعالى، فيعبدونه، ويشكرونه، ويستعينون به في كل صغيرة وكبيرة، يستفاد ذلك من قوله: ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾، فاعتبر حضور العرش عنده بعض فضل ربه.

٨٤) تفيد وجوب اعتراف الأمة: الراعي والرعية، بأن كل ما تمنح من منح ابتلاء من الله تعالى لها؛ هل تشكر، أم تكفر؟ فتسارع للشكر، وتحفظ من نتيجة الكفر، يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

٨٥) تفيد أن أخلاق الجنود تقتضي السمع والطاعة للقائد بدون أدنى تردد، مالم يؤمروا بمعصية، يستفاد ذلك من أمر سليمان للجنود: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [سورة النمل، الآية: ٤١]، أمرهم أن يغيروا العرش، وهو يعلم سرعة استجابتهم.

٨٦) تفيد أهمية تربية الجنود على السمع والطاعة، وتدريبهم على ذلك، يستفاد ذلك من قوله: ﴿نَكِّرُوا۟﴾ حيث وجه الخطاب إلى شخص معين، وهو ما يدل على أن كل جنوده في طاعته؛ لأنه لو كان يخشى أن أحدا من الجنود يتمرد لكان يوجه الخطاب إلى شخص معين لأجل أن يحرجه فلا يستطيع أن يقول: لا، وهكذا عظمة السلطان تكون بمثل هذا، فعندما يقول السلطان أو الأمير: القهوة يا ولد، فكل الحاضرين يفزعون :قهوة قهوة، وتأتيه بسرعة)[1].

٨٧) تفيد أن القائد المسلم الذكي، أذكى من كل قائد كافر مهما أوتي من ذكاء وكياسة؛ لأن الله تعالى فضله بحسن السياسة، والذكاء، وزاده نعمة أخرى هي الأعظم، وهو الإسلام لرب العالمين، يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٢].

٨٨) تفيد وجوب اعتزاز الأمة المسلمة بإسلامها؛ لأنه أعظم نعمة أنعم الله بها عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، ويشهد له قوله تعالى:

---

(١) ينظر تفسير سورة النمل للعثيمين (٢٢٦).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣].

٨٩) تفيد أن الفطن الذكي هو الذي يسلم وجهه لله تعالى، وكل معرض لا عقل له، ولا ذكاء، يدل عليه قول سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، ويشهد له قول الله تعالى على لسان الكافرين: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٩].

٩٠) تفيد أن أمم الكفر تُعرض عن دين الله بسبب ما نشأت عليه من عبادة غير الله تعالى، فتسول لها أنفسها أنها على الحق مع انغماسها في الباطل، يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٣]، ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»(١).

٩١) تفيد أن الصاحب ساحب، وقلْ لي من تصاحب أقول لك من أنت، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

٩٢) تفيد أهمية مادة الزجاج، وكثرة فوائده، وهو في عصرنا أكثر فائدة؛ حيث يستعمل في المباني، والأدوات والأواني المنزلية، ومعدات الاتصالات السلكية، والمجال الطبي، وغيره من المجالات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح ١٣٨٥، ٢/١٠٠).

٩٣) تفيد أن من يعظم القوة المادية، لا يعترف إلا بعظمة من يملك منها أكثر منه، فهاته الملكة أسلمت لما رأت من عظمة ملك سليمان؛

حيث رأت عرشها أمامها، ورأت الصرح الممرد الذي خدعت بما يظهر تحته من ماء، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٤].

٩٤) فيها بيان عظمة ملك سليمان؛ حيث سخر الله تعالى له النحاس، والحديد الذي سخر لوالده، والزجاج، وسخرت الجن له تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وجفان كالجوابي، وقدور راسيات.

المطلب الرابع: هدايات آيات سورة سبأ وص:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٠-١٤].

٩٥) فيها بيان خطأ كثير المسلمين في القرون الأخيرة، حينما اعتقدوا أن الإسلام عبادات، ولا علاقة له بالدنيا، فتركوا عمل الدنيا؛ إرضاء لربهم في زعمهم، في الوقت الذي استيقظ فيه العالم الغربي من سباته الطويل الذي دام عدة قرون، فبنى دولا عصرية، وتقدم في الصناعة، مما مهد له استعمار العالم الإسلامي، واستغلال خيراته؛ ولو تدبروا هاته الآيات لبنوا دولة على شاكلة دولة سليمان وأبيه عليه السلام، ولسبقوا غيرهم!

٩٦) فيها بيان لأهمية وسائل المواصلات العصرية السريعة، ودعوة الأمة إلى بذل الوسع في صناعتها، وابتكار الجديد منها؛ لأنها تعين على سرعة التنقلات والمواصلات؛ وتساعد في قضاء الأغراض في وقت وجيز، دليله امتنان الرب الكريم على سليمان بالريح تجري بأمره وبما يريد، ولسرعتها تقطع مسافة شهرين في يوم واحد، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، وقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

٩٧) فيها معجزة عظيمة لسليمان عليه السلام، شبيهة بمعجزة أبيه؛ فذاك سخر الله له الحديد، وهذا سخر الله له النحاس، وقد فاق الابن أباه بأن جعل له النحاس عينا سائلة كأنها عين ماء؛ قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾.

٩٨) فيها أن الله تعالى قد ينعم على الأبناء بنعم لم تكن للآباء.

٩٩) فيها أن العلوم كلها مسخرة من الله تعالى، ومنها العلوم الدنيوية؛ من صناعات حربية، وعسكرية، وإلكترونية، وكهربائية، ومعدنية، وكيميائية، ومعدات وآلات؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، ولولا تسخير الله تعالى لهاته المخلوقات، ما استفاد منها الصناع والحرفيون.

١٠٠)فيها بيان قدرة الله تعالى؛ حيث جعل لسليمان النحاس عينا سائلة.

١٠١)فيها بيان سنة التطور في العلوم، والفنون؛ فإن النحاس الذي سخره الله تعالى للابن سليمان عليه السلام، أشد من الحديد إباء على النار، فهو يحتاج في صهره إلى قوة حرارية أكثر مما يحتاج إليه الحديد[١].

١٠٢)فيها بيان فوائد معدن النحاس؛ لأن الله تعالى أساله لسليمان عليه السلام؛ ليصنع به ما يشاء.

---

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٧٨٨/١١).

١٠٣) تفيد أهمية الصناعات النحاسية؛ فكم من منافع للإنسان في إذابته، لا سيما في عصرنا هذا، وقد مهر الصناع في عصرنا هذا في ابتكار كثير من المنافع للإنسان؛ مثل: أواني المطبخ النحاسية، وهي قمة في الأناقة، وأدوات للتجميل، ويستخدم النحاس اليوم في صناعة الأسلاك والكابلات الكهربائية والأجهزة الإلكترونية، ويستخدم في مواد البناء بسبب مقاومته للتآكل، كما يدخل أيضا في صناعة النقود المعدنية والمجوهرات، وغيرها من المنافع.

١٠٤) تفيد بيان أهمية إذابة المعادن، ليصنع بها الصانع ما يشاء، مما يحتاجه الناس.

١٠٥) فيها بيان أهمية مراقبة القائد لجنوده، ورب العمل لعماله، والأب لأولاده؛ لأن (من يعمل لملك شغلا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه)[١]؛ ولذلك قال تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ فهو مراقب لهم؛ ويشهد له حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[٢].

١٠٦) تفيد وجوب طاعة العمال لقائدهم في كل ما كلفوا به.

١٠٧) تهدي إلى أن نجاح أي شركة، أو مقاولة، أو مؤسسة من المؤسسات، رهين بقيادة نشطة ناصحة، وعمال مخلصين مجدين.

١٠٨) تفيد تنبيه الصناع إلى التوكل على ربهم، والاستعانة به، وطلب التوفيق منه؛ فإن كل ما يعملونه بإذن ربهم؛ وليس بقوتهم وجهدهم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٩٧/٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح ١٨٢٩، ١٤٥٩/٣).

١٠٩)فيها أن الجن المسخر لخدمة سليمان، كله مطيع لسليمان؛ لا يزيغ عن أي أمر؛ دليله: "مَنْ" الشرطية؛ فإنها من ألفاظ العموم عند الأصوليين.

١١٠)فيها تحريم الزيغ؛ للوعيد الشديد عليه.

١١١)فيها مشروعية عقاب المخالفين، وتختلف العقوبات باختلاف شرائع الأنبياء؛ فهذا سليمان عليه السلام، عاقب بالتصفيد: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨]، وتوعد الهدهد بما جاء في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]، و(في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أحكام كثيرة تبين الأفعال والتروك المحرمة التي يعاقب مرتكبها، وهذه الأحكام وما ينبني عليها أو يتفرع منها تُكَوِّنُ ما يمكن تسميته بنظام الجريمة والعقوبة في الإسلام، أو بالقانون الجنائي الإسلامي)

١١٢)فيها أن الزائغ لا يَرْدَعُه عذاب الدنيا وحده، ولا عذاب الآخرة وحده؛ إنما يرتدع بالنوعين معا؛ لأن الجن الزائغين، يعاقبون من سليمان عليه السلام، وتوعدتهم الآية بعذاب السعير في الآخرة.

١١٣)تتضمن تحذيرا من الزيغ؛ لأنه محرم على كل المكلفين من الجن والإنس.

١١٤)تفيد بمفهوم المخالفة الحث على الاستقامة، وملازمة الطاعة لله، ولرسله، ومن ولاه الله تعالى أمر المسلمين.

١١٥)فيها تخويف وترهيب لمن يخالف أوامر الرب الكريم سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾؛ فذكر أمره مسندا إلى ضمير الجمع المفيد للتعظيم، الموجب لزيادة الخوف.

١١٦)تفيد أن أوامر الله عز وجل واجبة الطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

١١٧)فيها بيان استحقاق الزائغ عن الطاعة للعقوبة؛ وقد كانت عقوبة الجن المتمردين تعذيبهم بالنار؛ ليذوقوا حرها، إما نار الدنيا، وإما نار الآخرة.

١١٨)تفيد أن العذاب المتوعد به في جهنم، نار حامية، يشعر بحرها، ويتألم تألما شديدا، أعاذنا الله تعالى منها بفضله ورحمته؛ لأنه قال: ﴿نُذِقۡهُ﴾.

١١٩)فيها بيان نعم ربنا عز وجل عل أهل هذا العصر؛ حيث سخر لهم الطائرات التي تجري بهم بسرعة فائقة، ولو تدبرنا سرعتها لوجدنا أنها أسرع من ريح سليمان عليه السلام؛ ولذلك وجب على الناس في هذا الزمان شكر ربهم الذي سخر لهم مالم يسخره لغيرهم.

قال تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

١٢٠)تفيد أهمية تهيئة المساكن والمساجد؛ من أجل الأمن المادي، والأمن الروحي؛ لأن الآية بدأت بذكر المحاريب: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾؛ أي: أبنية شريفة من قصور ومساكن وغيرها هي أهل لأن يحارب عليها، أو مساجد، والمحراب مقدم كل مسجد، ومجلس، وبيت، وكان مما عملوه له بيت المقدس، جدرانه بالحجارة العجيبة البديعة، والرخام الأبيض والأصفر والأخضر، حتى كان أبهى بيت على وجه الأرض.

١٢١)تفيد أهمية عمل الجفان لحاجة الناس الماسة إليها.

١٢٢)تفيد أهمية صناعة القدور لسد حاجة الناس إلى ما يطبخ فيها مما يزيل عنهم المسغبة.

١٢٣)فيها بيان ما سخر الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام؛ مما لم يسخر لغيره، فقد أشارت الآية هنا إلى صناعة المحاريب، والتماثيل، والجفان، والقدور، وأشارت آيات أخرى إلى البنائين المتقنين، الذين يبنون الأبنية الهائلة العجيبة، والغواصين في البحار؛ الذين يستخرجون اللؤلؤ والمرجان.

١٢٤)تفيد أن الجن كانوا في خدمة سليمان عليه السلام، وطوع أمره، كل ما يشاء منهم يفعلونه؛ لقوله: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: ١٣]؛ لأن قوله: ﴿مَا﴾، اسم موصول يفيد العموم.

١٢٥)تفيد حكمة نبي الله سليمان عليه السلام في كل ما يصنعه؛ فإن هاته الأشياء من أهم ما تحتاجه أمته.

١٢٦)فيها تنبيه الصناع لصناعة ما فيه نفع للناس، وتحذير من صناعة ما فيه ضرر، أو أذى لإنس، أو جن، أو حيوان، أو نبات، أو بيئة...؛ لأن ما يعمله سليمان عليه السلام كله نفع.

١٢٧)تفيد بيان أهمية تشييد الأبنية المرتفعة للأمن من الأعداء المتربصين بالمؤمنين؛ لأن سليمان كان حريصا على تشييدها؛ وهي التي سميت هنا: ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾؛ ويشهد لذلك محراب أبيه داود عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص: ٢١].

١٢٨)تفيد جواز البناء العالي؛ لقوله تعالى: ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾[1].

١٢٩)تفيد أن كتاب الله يدعو إلى العمل للدين والدنيا؛ قال تعالى على لسان العلماء الناصحين لقارون: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص: ٧٧].

١٣٠)تفيد أن ملك سليمان كان ملكا عظيما في كل شيء؛ حتى إن صحافه كانت كالحوض الكبير لاتساعها؛ قال تعالى: ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾.

١٣١)تفيد أن الجفان الكبيرة يصنعها سليمان عليه السلام كما يشاء؛ لكنها في شريعتنا لا تصنع من ذهب ولا فضة؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:

([1]) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة سبأ للعثيمين (١١٧).

«لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا»[1].

١٣٢)فيها إيماء إلى أن الطباخ ينبغي أن ينتبه لوجود الجفان قبل القدور؛ لأن القدور إن غلت ولم يجد جفانا، لا يستفاد من الطعام؛ ولذلك قدمت الجفان على القدور، والله أعلم.

١٣٣)فيها بيان كثرة الخدم والعمال والناس عموما في خلافة سليمان عليه السلام؛ لأن كِبَرَ الجفان والقدور، تدل على كثرة ما يطبخ، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الأكلة.

١٣٤)فيها بيان كرم نبي الله سليمان عليه السلام، وتوسعته على خدمه وأمته؛ ولذلك كان يأمر بصناعة الجفان الكبيرة، والقدور الراسيات؛ قال المفسرون: (يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها)[2].

١٣٥) فيها بيان لسعة ملك سليمان، وما بسط الله له من رزق، حتى ليطعم على مائدته هذه الأعداد الكثيرة من الناس، التي أعدت لها تلك الأواني والأدوات، لتهيئة الطعام لها؛ يدل على ذلك وصف الجفان بهذه الضخامة والاتساع، ووصف القدور بهذه الأحجام العظيمة[3].

١٣٦)فيها بيان أهمية الاجتماع على الطعام؛ لأن فيه البركة؛ بدليل صناعة الجفان الكبيرة؛ ليجتمع الأكلة الكثيرون، ولا يتفرقون؛ ولذلك لما قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، ح ٢٠٦٧، ١٦٣٨/٣).

(٢) ينظر اللباب في علوم الكتاب (٢٨/١٦)، تفسير الجلالين (٥٦٤).

(٣) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٧٩٠/١١).

«تجتمعون على طعامكم أو تتفرقون؟»، قالوا: نتفرق، قال: «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يُبارَكْ لكم»[1].

١٣٧)فيها رد على ما اعتاده كثير من أهل عصرنا من تفريق على الطعام، كل واحد يستقل بصحنه؛ وبذلك تضيع كثير من الأطعمة؛ كما هو مشاهد في الفنادق، والمنازل، وغيرها، ويشهد لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي»[2]، وقد أثبت علماء الاجتماع أن اجتماع الأسرة على الطعام يؤلف بينها، ويزيد في المودة والمحبة، والتفرق يورث التنافر والتباعد.

١٣٨)تفيد جانباً من جوانب عظمة نبي الله سليمان عليه السلام؛ فإن القدور التي تُصنع له قدور ثابتة لا تتحرك لكبرها؛ حتى قيل إنه يصعد لها بالسلاليم، مع أن المعروف عند الناس أن القدور تتحرك وتقلب؛ لكن قدور سليمان عليه السلام راسية كالجبال.

١٣٩)تفيد أن سليمان عليه السلام أعطاه ربه عطاء لا حد له؛ فهو يعطي من شاء ما شاء، ويمسك ما شاء، ولا يحاسب على ذلك؛لأنه أواب لربه؛ قال تعالى يخاطبه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٣٩].

١٤٠)تفيد أن الصناعة الحربية لا تستحب لذاتها؛ بل لرد الظلم، والدفاع عن الحق؛ لأن نبي الله سليمان عليه السلام لم يكن يخشى عدوا؛ لأنه كان ملكا ابن ملك، فقد وَطَّد له أبوه الملك، فكانت حاله حالة سِلْم، إذ لم يكن أحد يقدر على

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب الأطعمة، باب آداب الأكل، ذكر الأمر بالاجتماع على الطعام رجاء البركة في الاجتماع عليه، ح ٥٢٢٤، ٢٧/١٢)، وحسنه شعيب الأرناؤوط بشواهده.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (مسند جابر، ح ٢٠٤٥، ٣٩/٤)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٨٩٥، ٥٦١/٢).

محاربته؛ ولذلك لم يشتغل بالصناعة الحربية؛ ولكنه اهتم بالصناعة السلمية، ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾، بخلاف أبيه.

١٤١)تفيد أن دور القائد أن يؤمن لأمته أمرين أساسيين: **الأمن الروحي، والأمن الغذائي**؛ يتجلى الأمن الروحي فيما يصنعه سليمان عليه السلام من محاريب وتماثيل، والأمن الغذائي فيما يصنعه من جفان وقدور.

١٤٢)يشير تقديم المحاريب والتماثيل على الجفان والقدور، إلى أن تغذية النفس تقدم على تغذية الجسم؛ لأن قيمة الإنسان بروحه، وليس بجسمه، ويُصَدِّق هذا قول الشاعر:

يا خادم الجسم كم تشـــقى بخدمته *** أتطلب الربح فيما فيه خســران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها *** فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[١]

١٤٣)تفيد دعوة الإسلام إلى العمل وحثه عليه؛ لقوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

١٤٤)تفيد الحث على كل عمل صالح يقرب من الله تعالى، ويشكر به الرب عز وجل، بدون استثناء؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾؛ فقد حذف المعمول؛ لإفادة العموم؛ أيْ: اعملوا كل خير.

١٤٥)تفيد بالمفهوم النهي عن العجز والكسل، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال»[٢].

١٤٦)تفيد أن الأنبياء مطالبون بالعمل كسائر الناس؛ بل هم قدوة الناس في عمل الصالحات.

١٤٧)تفيد أن من الأعمال التي عَلَّم الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام الفصل بين الناس، والحكم بينهم بالعدل؛ قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ

---

(١) البيتان لأبي الفتح البستي من قصيدته: عنوان الحكم (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن، ح ٦٣٦٩، ٧٩/٨).

فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

١٤٨)تفيد بالمفهوم تحريم العمل رياء، وسمعة، وفخرا، وتعاليا وتباهيا على الناس؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾؛ فإن كلمة: "شكرا"، تعرب حالا؛ أي: اعملوا بالطاعات في حال شكر منكم لله في هذه النعم، لا لغرض آخر من مثل ما ذكر(١).

١٤٩)فيها تنبيه إلى عدم الاغترار بما ينجزه الكفار بالله واليوم الآخر من الأعمال "الخيرية" العامة، في سياق الخدمات المدنية، والمساعدات الطبية والإغاثية...إلخ؛ لأن ذلك كله وما في معناه إنما هو ضرب من تحقيق "الأنا"، والاستمتاع بالأضواء الإعلامية، والتمتع بالبطولات الفردية والجماعية، أو بالمقاصد السياسية والمواقع الاجتماعية...إلخ(٢)؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

١٥٠)تفيد بيان منزلة نبي الله سليمان في الشكر، والعبادة، والأوبة إلى الله تعالى؛ يدل على ذلك قوله تعالى:﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٠-٣٣]، فقد كان حريصاً على ذكر ربه، يقدمه على غيره، فلما شغلته الخيل عن ذكر ربه ندم على ذلك ندما شديدا، وشرع يعقرها بسيفه في سوقها وأعناقها.

(١) ينظر المحرر الوجيز (٤/٤١٠).

(٢) ينظر مجالس القرآن (١٩٠).

١٥١)تفيد بيان منزلة الشكر، و(فيها تنبيه وتحريض على الشكر)[١]؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾.

١٥٢)تفيد الاقتداء بنبي الله سليمان عليه السلام؛ لأنه كان شكاراً لربه؛ وكيف لا يكون كذلك وقد أمره ربه بذلك.

١٥٣)فيها بيان إجماع الأنبياء والمرسلين على الدعوة إلى توحيد الله وشكره، والتحذير من الإعراض.

١٥٤)تفيد براعة سليمان عليه السلام في القضاء والفصل بين الناس في الخصومات؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى»[٢].

١٥٥)تفيد أن أهل الشرف والفضل والمكانة، ينتظر منهم ويتأتى منهم ما لا يتأتى ممن هم دونهم؛ كما قال الشاعر مما جرى مجرى الأمثال:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم *** وتأتي على قدر الكرام المكـــارم

فتعظم في عين الصغير صغارها *** وتصغر في عين العظيم العظائم[٣]

١٥٦)تفيد أن من رأى نعم الله عليه، وجب عليه أن يتبعها بالشكر؛ لأن الله تعالى لما ذكر منته على آل داود، أمرهم بشكرها، ويشهد لذلك قول سليمان

---

(١) ينظر المحرر الوجيز (٤/٤١٠)، البحر المحيط (٨/٥٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابنا، ح ٦٧٦٩، ٨/١٥٦).

(٣) ينظر الأمثال السائرة من شعر المتنبي لابن عباد (٤٩)، الحماسة المغربية للجراوي (١/٥٣٠)، والبيت منسوب للمتنبي.

عليه السلام: – لما سمع كلام النملة قائلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

١٥٧)فيها بيان أن سليمان كان شكاراً لربه، يشهد له تنويه آيات القرآن الكريم بذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرّٗا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

١٥٨)تشير بالمفهوم إلى أن أسباب سقوط الأمم كثرة الكفرة والجاحدين.

١٥٩)تفيد أن الشكر يحفظ الأمة من كل الآفات، ولا يكون بقول: الحمد لله، أو: الشكر لله، فيمكن لكل إنسان أن يقول ذلك؛ لكن هل هذه الكلمة تخرج من قلب هذا الإنسان، وهو مستشعر نعم الله عليه، يشكر لله سبحانه، ويعرف أن مبدأ النعم منه سبحانه، وأنه يعطي ما يشاء لمن يشاء سبحانه، يعطي ليس لاستحقاق العبد ولكن فضلا منه سبحانه، أم ينطق بها لسانه وهو يستقل نعمة الله عز وجل عليه، ويستكثر نعمة الله على غيره، فيحسد الغير ويحقد عليه؟![1].

١٦٠)تفيد أن كل أمة لم تشكر فهي مهددة في كل وقت بنزول العذاب الشديد؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) ينظر تفسير أحمد حطيبة (٦/٢٥٤).

١٦١) تفيد أن الأمة التي تشكر ربها هي التي تنتفع من ذلك؛ وأما المنعم عز وجل فهو غني عن شكر الشاكرين؛ قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

١٦٢) تفيد رحمة الله عز وجل بالشاكرين؛ فإنهم لم يوفقوا للشكر إلا بعد توفيق الله تعالى، واصطفاهم على كثير من الناس، وقَبِلَ منهم وإن لم يستطيعوا شكره على كل نعمه الكثيرة.

١٦٣) تفيد أن الله تعالى هو الذي ينعم على الأمة بكل النعم، وذلك يوجب شكر المنعم عليها؛ وقد تدبرت آيات تذكر نعما كثيرة وتحث على الشكر،

من هاته النعم:

١. **نعمة عفوه عز وجل**؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢].

٢. **نعمة الأكل الطيب**؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

٣. نعمة إكمال عدة الصيام؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٤. **نعمة الانتصار على الأعداء**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٥. **نعمة رخصة التيمم**؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

٦. **نعمة التمكين في الأرض**، والمعايش؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

٧. **نعمة الإيمان والتوحيد؛** لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

٨. **نِعَمُ الثمرات؛** لقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٩. **نعمة البحر،** وما فيه من أسماك، وحلية، وسفن تجارية تجري فيه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

١٠. **نعمة العلم، وأدواته؛** من سمع، وأبصار، وأفئدة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

١١. **نعمة البُدْن؛** لقوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].

١٢. **نعمة الملك وتسخير الخدم؛** لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

١٣. **نعمة الليل والنهار؛** لقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

١٤. **نعمة الرياح المبشرات،** والأمطار التي تتبعها، ونعمة الفلك، والأرزاق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

١٥. **نعمة الحكمة؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢].

١٦. **نِعَمُ الجنان، والبلدة الطيبة،** ومغفرة الرب سبحانه وتعالى؛ لقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

١٧. **نعمة تسخير الأنعام،** وتذليلها، وفوائدها الكثيرة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

١٨. **نعمة الماء العذب الزلال؛** لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

١٦٤) تفيد بالمفهوم أن الكسالى، والمتقاعسين عن العمل والإنتاج، والسير في ركب الحياة، وإعمار الأرض، يخالفون هدي الإسلام؛ ولم يأتمروا بأوامره؛ ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها»[١].

١٦٥) فيها رد على من يقول بأن دين الإسلام يستحب الفقر، ويدعو إليه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان فقيرا، فينبغي أن نرضى بالفقر، ونستمتع به، ولا نطمع في الغنى، ولا يتدبرون مثل هاته الآية التي تدعو إلى العمل للدنيا، والتشييد، والبناء، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم حث على العمل في

(١) أخرجه أحمد في مسنده (مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، ح ١٢٩٠٢، ٢٠/٩٥١)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

كثير من أحاديثه، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه»[1]، وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة»[2]، وكان صلى الله عليه وسلم تاجرا أمينا، ولا يذكرون عثمان رضي الله عنه حينما جهز جيش العسرة، وطلحة رضي الله عنه وسخاءه، وابن عوف وتجارته...، ولا يمكن أن تخرج أمتنا من ضعفها وأزماتها، إلا إذا نافست غيرها في كل المجالات.

١٦٦) تفيد عظمة هذا الدين وتشريعاته التي جمعت بين مصالح الناس الدينية والدنيوية؛ لإشارتها إلى منافع دنيوية سخرها لنبيه سليمان عليه السلام، وأُمِرَ بشكر الله تعالى عليها.

١٦٧) تفيد جواز التحدث بنعم الله تعالى على العبد؛ لأن الله تعالى أنعم على سليمان عليه السلام بهذه النعم، وكان يتحدث بها شكرا لربه؛ قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ [سبأ: ١٤].

١٦٨) فيها دلالة على أن الرجل الموفور الحماس، الفائر العاطفة، قد يظل يعمل ويدأب حتى يصل في عمله ودأبه إلى درجة يصعب منالها على القاعدين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المساقاة، باب بيع الحطب والكلإ، ح ٢٣٧٤، ١١٣/٣).

(٢) نفس المصدر (كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ح ١٤٢٩، ١١٢/٢).

الباردين؛ يستفاد ذلك من دأب سليمان عليه السلام على العمل والجد، دون كلل ولا ملل، إلى أن قبضت روحه وهو يتتبع جنوده.

١٦٩)فيها درس للقادة القاعدين الباردين، الذين يغفلون شؤون رعيتهم، ويهملونها؛ فهذا النبي المرابط يموت وهو يتابع شؤون رعيته.

١٧٠)فيها بيان خطورة المسؤولية الملقاة على عاتق ولاة الأمور، فمن علم منهم ذلك، لم يذق طعم الراحة، ولذة النوم، حتى يأتيه الموت؛ وذاك شأن رسولنا صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم.

١٧١)فيها أن الجنود في الغالب إذا لم يُرَاقَبُوا من قائدهم، لن يؤدوا أعمالهم على الوجه المطلوب.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾ [سورة ص، الآية: ٣٠-٤٠].

١٧٢)فيها بيان أهمية اختيار القيادة الصالحة لقيادة الأمة إلى بر الأمان، يستفاد من ثناء الله تعالى على عبده سليمان عليه السلام.

١٧٣)فيها أهم صفات القائد الصالح، وهي تعبُّدُه لربه، وخشيته منه، ومسارعته لمرضاته، واستغفاره ربه، يستفاد من تحسر سليمان لما فاته ذكر ربه، وتعزير نفسه من أجل ما فاته من عبادة.

١٧٤)فيها أهمية الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في كل أمر صغير أو كبير، ومن ذلك أمور الحكم والسياسة، يستفاد من دعاء سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

١٧٥)فيها توجيه لكل قادة الأمة وعامتها أن الله تعالى يجيب دعاء كل داع، سواء دعا لصلاح دينه، أو لصلاح دنياه، أو لصلاح آخرته، يستفاد من إجابة دعاء نبيه سليمان عليه السلام.

المبحث الثاني: مقومات بناء الحضارة والعمران من هدايات نبي الله سليمان

من خلال الهدايات المستفادة من قصص نبي الله سليمان عليه السلام نستكشف الأسس التي ينبغي أن تبنى عليها الحضارة، ومقومات الدولة العادلة الآمنة، والأمة التي يصنعها الوحي، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم، وأوله وأساسه، الإيمان بالله تعالى، وتحكيم شرعه، وشكر المنعم على إنعامه، ويعم كل أنواع العمران: الزراعي والصناعي والصحي والأمني، والتقدم في الإنتاج الحيواني، واستخراج كنوز الأرض من نحاس، وحديد، وغيرهما، واستخراج ما في البحر بالغوص، والسفن، وأنواع المعدات البحرية، والاستفادة من كل الطاقات المتاحة، وهاته بعض الأسس والمقومات التي يمكن استخراجها من قصص هذا النبي الكريم.

المطلب الأول: الإيمان والأخلاق:

تبين هدايات القرآن مستوى الإيمان في دولة نبي الله سليمان عليه السلام، فقد ورث عن أبيه دولة تؤمن بالله وحده، وتشكره استجابة لأمر الله لآل داود، كان أبوه يذكر ربه بالعشي والإشراق، والطير محشورة، تُردد معه الجبال والطير مزاميره، وهو يتلو آيات ربه بصوت جميل لذيذ، ولا شك أن الولد قد نشأ على هذا الإيمان، وأصبح لسانه رطبا بذكر الله، وورث كل هذا عن أبيه، كان محافظا على صلواته، لا يدعها لشغل، وقد أشارت الهدايات إلى حاله لما توارت الشمس بالحجاب، وكان مشغولا بعرض الخيول، ونسي ذكر ربه، فطفق مسحا بالسوق والأعناق، كل هاته الإشارات تبين أن من أهم مقومات الحضارة الراقية، الإيمان بالله تعالى، وشكره، وذكره، والمحافظة على الصلاة، والتخلق بكل خلق جميل، ونبذ الظلم، والنهي عن اتباع الهوى، وتحري العدل، والفصل بين الناس بالقسط، والاستجابةُ لأمر الله تعالى هو الذي يعصم الأمة من الزيغ والضلال، ويجعلها أمة شاكرة، عادلة، تساس بشرع الله، وتستجيب لأمر الله.

إن الأمة متى طبقت هاته الهدايات في واقعها ستصبح أمة واحدة، متآخية، متعاونة، لا شقاق ولا نزاع، لا تعبد إلا ربها، وتشكره على نعمه، وتُحفظ من كل ما يضرها.

المطلب الثاني: النظام القضائي العادل:

من أهم مقومات الحضارة في القرآن الكريم، القضاء العادل، بحيث لا يظلم أحد من أفراد الأمة، وفي قصة سليمان عليه السلام بيان لأسس الدولة العادلة، والْمُلْكِ العادل، وقد ورث عن أبيه كثيرا من ذلك، فقد آتى الله تعالى أباه الحكمة وفصل الخطاب، وزاد الابنَ فهما وعلما، وقد تضمنت هدايات الآيات أسس النظام السياسي، والإداري، والاقتصادي، والصناعي، والدعوي،

والقضائي، والاجتماعي؛ لأنه كان رسولا، ملكا، قاضيا ملْهمًا، داعيا إلى الله، حكم الجن، والإنس، والطير، وحقق العدالة الاجتماعية بينهم، وحرِص على مراقبتهم، ، وقد قصت هدايات القرآن الكريم حكمه العادل، في القضية التي عرضت على أبيه، وفهَّمَ اللهُ تعالى الابنَ للحكم الأصوب، وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لأقضية عجيبة قضى فيها هذا النبي بالحق والعدل.

أثر تطبيق هاته الهدايات على الأمة كبير، لا يظلم أحد يقطن في رقعتها، ويعمها الأمن والأمان، والسلم والسلام.

المطلب الثالث: النظام الاقتصادي والصناعي:

دولة نبي الله سليمان عليه السلام وفرت كل الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، إضافة إلى القوة المادية، فقد ألان الخالق عز وجل لأبيه الحديد، يصنع به كل ما تحتاجه دولته، ومن ذلك ما يحفظ به جنوده أثناء الحروب من دروع سابغات، يصنع ما يصنع بطرق دقيقة عجيبة، وبعد موت الأب يجد الابن نفسه خليفة لأبيه في كل ما خلف من ثروة دينية، ومادية، وقد آتاه الله ما لم يؤت أباه، وما لم يؤت أحدا من العالمين مثله، واستمر في بناء الدولة، وتعميرها، وقد أسَالَ له ربه عز وجل معدن النحاس يعمل به ما يشاء.

ونشَّط الصناعات المتنوعة، واستمر في خدمة دولته، مراقبا، قاضيا، متابعا حتى لقي ربه؛ بل حتى بعد موته استمرت الدولة مدة، حتى خر بعد أكل الأرضة منسأته.

يستفاد من هدايات الآيات أيضاً أهمية البحث العلمي: وهو من أهم سبل التقدم والرقي عند الناس، (والسبيل الطبيعي إليه إنما هو استخدام العقل في البحث العلمي، والاختبار والتجربة، والممارسة التطبيقية العملية، مع الملاحظة الدقيقة لجوانب الخطأ والنقص وما يستدعيه الكمال)

وقد أشارت هدايات قصة سليمان عليه السلام إلى ما سخر الله تعالى له مما لم يسخر لغيره؛ من صناعة المحاريب، والتماثيل، والجفان، والقدور، وأشارت آيات أخرى إلى البنائين المتقنين، الذين يبنون الأبنية الهائلة العجيبة، والغواصين في البحار؛ الذين يستخرجون اللؤلؤ والمرجان.

وفيها أيضاً تنبيه الصناع لصناعة ما فيه نفع للناس، وتحذير من صناعة ما فيه ضرر، أو أذى لإنس، أو جن، أو حيوان، أو نبات، أو بيئة...؛ لأن ما يعمله سليمان عليه السلام كله نفع.

وفيها أن دور القائد أن يؤمن لأمته أمرين أساسيين: **الأمن الروحي، والأمن الغذائي**؛ يتجلى الأمن الروحي فيما يصنعه سليمان عليه السلام من محاريب وتماثيل، والأمن الغذائي فيما يصنعه من جفان وقدور.

المطلب الرابع: الإعداد العسكري:

هدايات قصة سليمان في القرآن الكريم ترشد إلى أهمية الإعداد العسكري لحماية الدولة، وحماية الأمة،

وإذا لم تُعِدَّ الأمة القوة العسكرية فإنها تصبح مهددة في كل لحظة، ويستطيع عدوها غزوها، واستغلال خيراتها، وتمزيقها؛ ولذلك أذن للمسلمين بالقتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٩-٤٠]﴾،

وهاته بعض الفوائد المستفادة من قصة سليمان حول الإعداد العسكري:

- ضرورة إقامة مراكز أبحاث وتطوير وتبادل الخبرات بين الدول الإسلامية الرائدة في الصناعات العسكرية.

- لِنصنعْ سلاحنا، ونزرع غذاءنا، وننتج دواءنا.
- الهدف من الصناعات في الدولة المسلمة هو الدفاع عن الدين والبلاد والعباد، وليس لقتل الأبرياء، والظلم والطغيان، أو لتصدير الأسلحة للآخرين ليقتلوا ويدمروا.

خاتمة:

إن هدايات كتاب الله تعالى تهدي للتي هي أقوم في كل مجال من المجالات، ولم تفرط آيات الكتاب من شيء إلا وأبانت ما هو الحق،

والمنهاج والشرعة التي ينبغي تطبيقها،

ومتى اهتدت الأمة بهاته الهدايات سعدت في دنياها،

ومُكّن لها في الأرض، وأعزها خالقها، ونصرها على عدوها،

ولم يستطع أحد تهديد أمنها، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ٤٠].

قائمة المصادر والمراجع

١. مصحف المدينة، رواية حفص، خط مقاس ١٣.

٢. (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى:١٩٩١م.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤. الأمثال السائرة من شعر المتنبي لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبي القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة: الأولى:١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٨. تفسير الشيخ أحمد حطيبة للشيخ الطبيب أحمد حطيبة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٥١٠ درسا].

٩. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٠. تفسير القرآن الكريم «سورة النمل» لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر:مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

١١. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، صفحة المؤلف: [عبد الكريم يونس الخطيب].

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٣. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٥. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

١٦. صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٧. صحيح البخاري لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

١٨. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م.

١٩. فتح الباري بشرح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية، مصر، الطبعة السلفية الأولى: ١٣٨٠- ١٣٩٠هـ.

٢٠. قصة الحضارة لوِل ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، عام النشر: المجلد ١ - ١٠: (بتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، المجلد ١١: (بتكليف المجمع الثقافي - أبو ظبي) ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٤٧ (موزعة على ١١ مجلدا).

٢١. قصيدة عنوان الحكم، لعلي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البُسْتي، لأبي الفَتح، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٢٢. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ، عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٣. مجالس القرآن، لفريد الأنصاري، سلسلة "اخترت لكم"، الناشر: ألوان مغربية للنشر والتوزيع، المدير المسؤول: عبد العزيز الفقير، الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤، الطبع: مطبعة النجاح الجديدة.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٢٥. مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي، ومعه: رحمات الملأ الأعلى بتخريج مسند أبي يعلى، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٦. معالم السنن (وهو شرح سنن الإمام أبي داود)، لأبي سليمان، حمد بن محمد الخَطّابي، الطبعة الأولى: ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٢٧. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبع الثالثة: ١٤٢٠هـ.

٢٨. موقع الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية، رابط الموقع: https://hidayatqurania.org/.

٢٩. موقع ويكيديا – الموسوعة الحرة، عنوان الموقع: https://ar.wikipedia.org/

٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الفهـــــــــــرس

-المقدمة.....٣

-المبحث الأول: هدايات في أسس بناء الحضارة من آيات قصة نبي الله سليمان عليه السلام.....٥

-المطلب الأول: هدايات آية سورة البقرة.....٥

-المطلب الثاني: هدايات آيات سور النساء والأنعام والأنبياء.....٦

-المطلب الثالث: هدايات آيات سورة النمل.....١٢

-المطلب الرابع: هدايات آيات سورة سبأ وص.....٢٥

-المبحث الثاني: مقومات بناء الحضارة والعمران من هدايات نبي الله سليمان.....٤٢

-المطلب الأول: الإيمان والأخلاق.....٤٢

-المطلب الثاني: النظام القضائي العادل.....٤٣
-المطلب الثالث: النظام الاقتصادي والصناعي.....٤٣
-المطلب الرابع: الإعداد العسكري.....٤٤
-الخاتمة.....٤٦
- قائمة المصادر والمراجع.....٤٧